

شرح أصول الكافي

[213] سابق نقص بالنسبة إلى المقام اللاحق وكل مقام لاحق كمال بالنسبة إلى المقام السابق ومن هنا يظهر سر قولهم: " حسنات الأبرار سيئات المقربين " فلا ريب في أن السالك مادام سالكاً ولم ينته سلوكه إلى أرفع المقامات أو انتهى إليه ورجع إلى ما دونه لإعانة سائر السالكين فهو في مقام نقص، والنقص تقصير، والتقصير يوجب الاستغفار، ومن هنا ظهر وجه استغفار المعصوم لنفسه وإِﻻﻩ ولي التوفيق.

= ويفهمه كلهم ويستطيع امتثاله، بخلاف العقائد والأخلاق فالناس مختلفون فيها جداً والسلوك فيها عبارة عن التدرج في مراتبها. ثم إن تأثير الأعمال والأخلاق من جهة الإعداد وتهئية قلب الإنسان بصفائه وتوجهه إلى الغيب لنزول بركات لا يدركها إلا من نالها، لا لأن نفس الأعمال ومكارم الأخلاق أمور مقصودة لذاتها بل لأنها أسباب لكمال آخر مقصود بذاته يبقى مع النفس بعد المفارقة عن البدن، ومعنى تجسم الأعمال أو الملكات ذلك، فالحسد مثلاً أو الغضب أو حب الدنيا ملكات خبيثة بدنية والبدن آلة لوجودها بتأثر من الأوهام والشهوات البدنية فإذا زالت لم يبق علة لوجود الحسد وأمثالها لكنها ما دامت في الدنيا مصاحبة لقلب الإنسان منعت من التوجه إلى الغيب وأن يترقى إلى أن يعرف إِﻻﻩ ويتحقق بمعرفته، وبعبارة أوفق بالاصطلاح: أن يفنى في إِﻻﻩ ولا يتوجه إلى غيره بل يرى أنه ليس شئ غيره. (ش) (*)